خالد بن الوليد.. سيف الله المسلول

إعداد: رياض عواد

شهر رمضان المبارك هو شهر الفتوحات والأحداث الجسام في تاريخنا الإسلامي.. وهذه الحلقات نحاول خلالها إبراز أهم الأحداث التي وقعت في هذا الشهر الكريم تلك الأحداث كثيرة ومتنوعة، ما بين معارك إسلامية فاصلة وفتوحات وأحداث إسلامية مهمة تتعلق بمولد أو وفاة أعلام المسلمين، فنعيش خلال الحلقات القادمة مع بعض تلك الأحداث والفتوحات لنقتفي آثارها ونتلمس خطاها.

في الثامن عشر من رمضان من عام 21هـ توفي خالد رضي الله عنه، فحزن عليه عمر رضي الله عنه والمسلمون حزنًا شديدًا، حتى قال عمر رضي الله عنه للرجل الذي طلب من عمر رضي الله عنه أن ينهى نساء قريش عن البكاء، فقال: «وما على نساء قريش أن يبكين أبا سليمان!. وقد جعل رضي الله عنه سلاحه وفرسه في سبيل الله

لّما حضرت الوفاة لخالد بن الوليد رضي الله عنه قال: «لقد شهدت مائة زحف أو نحوها وما في بدني موضع شبر إلّا وفيه ضربة أو طعنة أو رمّية، وها أنا أموت على فراشي، فلا نامت أعين الجبناء! وما لي من عمل أرجى من لا إله إلا الله وأنا متترِّس بها» وكان

هَو خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي، ولد في مكة في عام 30 قبل الهجرة 592ميلاديا)،

ابوه : هو الوليد بن المغيرة سيد بني مخزوم ، أحد أغنى اغنياء عصره.

اتسم الوليد بالكرم حتى أنه كان يمنع أن تقلد نارا غير ناره لاطعام الناس في مواسم الحج وكذلك في سوق عكاظ، لذا سمي في عصره ب " الوحيد" كما سمي " ريحانة قريش" ذلك أن قريش مجتمعة كانت تكسو الكعبة عاما ويكسوها الوليد بن المغيرة وحده عاما.

أمه : هي لبابة الصغري الهلالية ، من بني هلال من هوازن، وتلتقي مع الرسول الكريم في الجد السابع في مضر بن نزار.

قبيلته

بني مخزوم ، بطن من بطون قريش ، وأكثرهم بأسا وأكثرهم ثروة وعدات عرفوا بكرمهم وعطائهم بني آل ممخزون وحدهم ربع الكعبة.

اشتهر منهم الكثير سواء في الجاهلية أو الإسلام وإليهم ينتسب الشاعر عمر بن أبي ربيعة، وكذلك التابعي سعيد بن المسيب

نشأته

أرسل خالد كعادة أشراف العرب ليربى على يد مرضعة وأفضل في جوا صحيحا بالصحراء، عاد لابويه في الخامسة من عمره، تعلم الفروسية ونبغ فيها مبكرا فعرف بين أقرانه بالشجاعة والإقدام والقوة والمهارة والخفة في الحركة والمناورة والزراعة في القتال، الأمر الذي جعله أفضل فرسان عصره.

اتصف خالد بن الوليد بأنه كان قوي البنية ، طويل القامة ،يميل إلى البياض، كثيف اللحية، وكان شديد الشبه بعمر بن الخطاب حتى أن البعض كان يخلط بينهم .

سيف الله المسلول

في العام الثامن من الهجرة وجه الرسول عليه الصلاة والسلام جيشا لقتال الغساسنة، ذلك أن شرحبيل بن عمرو الغساني عامل قيصر الروم قام باعتراض طريق البلقاء الحارث بن عمير رسول رسول الله إلى بصرى وقام بقتله.

جهز الرسول جيشا من ثلاثة آلاف مقاتل أولى قيادته لزيد بن حارثة، على أن يخلفه جاف بن أبي طالب ان قُتل، ثم عبد الله بن رواحة إن قتل جعفر، وإن قُتل الثلاثة يختار المسلمين واحدا بينهم للقيادة، انضم خالد إلى ذلك الجيش، وقد كان حديث العهد بالإسلام.

• تحرك الجيش حتى وصل إلى مؤتة، فتفاجأ المسلمين بتفوق جيش العدو والذي تكون من مائتين جندي، نصفهم من الغساسنة ووصفهم الآخر من الروم.. تشاور المسلمين أمام هذا الموقف الصعب، ثم عقدوا العزم على القتال .

قتل القادة الثلاث على التوالي ، فاختار المسلمين فيما بينهم خالدا قائدا لهم، احدث خالد تعديلا تكتيكيا في صفوف الجيش لخداع العدو. بنقل الميسرة إلى الميمنة والعكس .

وقدم المؤخرة إلى المقدمة والعكس، وأمر طائفة بإثارة الغبار خلف الجيش، تقابل الجيشان مرة أخرى تفاجأ الغساسنة بتغير الوجوه فظنوا أن المدد قد وصل لجيش المسلمين خاصة بعد إحداث تلك الجلبة، أمر بالإنسحاب وبذلك استطاع أن يحافظ خالد بن الوليد على الجيش.

• فضلا عن إنقاذه للجيش، كان خالد ابن الوليد قد ابلي بلاءا حسنا في غزوة مؤتة، فكسرت في يده تسع سيوف، وعندما عاد خالد بجيشه إلى المدينة (يثرب) أثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلبه بسيف الله المسلول.

إسلامه وغزواته

قَدم خالد بن الوليد ومعه رفيقاهَ عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة إلى المدينة المنوّرة ليعلنوا إسلامهم وكان ذلك بعد صلح الحديبية، وكان ذلك في الأوّل من صفر في السّنة الثّامنة للهجرة، وعند قدومه قال له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "قد كنت أرى لك عقلاً رجوت ألّا يسلّمك إلّا إلى خير" وبعدها بايع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وشهد الشّهادتين معلناً إسلامه، وقد استغفر له الرّسول لما حدث منه قبل الإسلام، وقال له الرّسول: "الإسلام يجبّ ما قبله"، وقد شارك خالد بن الوليد في معركة مؤتة في البداية كجنديّ عاديّ ولكن بعد استشهاد كلّ من زيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة، وجعفر الطيّار، وهم قادة المعركة الذين عيّنهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لمعركة مؤتة، اختار المسلمون خالد بن الوليد ليكون قائداً لهم وليكمل هذه المعركة، وقد قاد جيش المسلمين في هذه المعركة إلى برّ الأمان وتحقّق الانتصار على يده، حيث عمل على تغيير مقدّمة الجيش وميمنته، فجعل المقدّمة مؤخّرة والميسرة ميمنة، ثمّ جعل سريّةً من الجيش تأتي من بعيد كأنّها مدَد قادم للمسلمين، وبهذا استطاع

أن يربك جيش الرّوم معتقداً أنّ مدّدا قدم لهم، ودبّ الرّعب في قلوبهم، وانسحب بالجيش من المعركة بأقلّ الخسائر وعاد بهم إلى المدينة المنوّرة. شارك خالد بن الوليد أيضاً في معارك الردّة واستطاع القضاء على الفتنة التي حدثت في هذه المعارك، وشارك في الحروب ضدّ الفرس وانتقل من حدود فارس إلى حدود الرّوم شمالاً قاطعاً الصّحراء، وأتى نهر اليرموك واستطاع الانتصار في معركة اليرموك، فهزم الرّوم ودخلت سوريا كلّها في الدّولة الإسلاميّة والإسلام.

يعتبر خالد بن الوليد رضي الله عنه من أجلّ الصحابة وأبرعهم وأشجعهم، فهو سيف الله المسلول الذي لم يُقهر في جاهلية ولا إسلام، وأبوه الوليد بن المغيرة سيِّد قريش في عصره، وأمه لبابة بنت الحارث أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين.

أسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه بعد الحديبية في العام الثامن الهجري، وشهد مؤتة، وانتهت إليه الإمارة يومئذ من غير إمرة، فقاتل يومئذ قتالاً شديدًا لم يُرَ مثله، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب، ثم أخذها سيفٌ من سيوف الله، ففتح الله على يديه". ومن يومئذ سُمِّي "سيف الله"، وشهد خيْبر وحنينًا، وفتح مكة وأبلى بلاءً حسنًا.

وقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العُزَّى – وكانت لهوازن– فكسر قمتها

أولاً ثم دعثرها وجعل يقول: يا عزى كفرانك لا سبحانك، إني رأيت الله قد أهانك. ثم حرقها. واستعمله أبو بكر الصديق رضي الله عنه على قتال أهل الردة، ولما أمَّره الصديق قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "فنعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد، خالد بن الوليد سيف من سيوف الله"

ترك خالد بن الوليد رضي الله عنه آثارًا مشهورة في قتال الروم بالشام والفرس بالعراق، وافتتح دمشق، وقد روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر حديثًا. وقد ثبت عنه في صحيح البخاري أنه قال: "لقد اندقَّ في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما ثبت في يدي إلا صفيحة يمانية"

ولما حضرته رضي الله عنه الوفاة قال: "لقد شهدت مائة زحف أو نحوها وما في بدني موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمّية، وها أنا أموت على فراشي، فلا نامت أعين الجبناء! وما لي من عمل أرجى من لا إله إلا الله وأنا مُتترِّس بها" • في العام التاسع الهجري نقض القريشيين صلح الحديبية الذي عقدوه مع الرسول الكريم فتوجه النبي بجيش قوامه عشرة آلاف مقاتل إلى مكة، قسمه إلى أربعة اقسام، تولى عليه السلام قسما وكلف كل من سعد بن عبادة والزبير بن العوام وخالد ابن الوليد بقيادة باقي الاقسام.

أمرهم صلى الله عليه وسلم بدخول مكة كل من باب ، فدخلوها جميعا دون قتال، ماعدا كتيبة خالد، فقد دخلت في قتال مع الكفار الدين بدأوا بمقاتلته بقيادة عكرمة بن أبي جهل وصفوان ابن أمية وسائل بن عمرو، انتصر خالد وقتل منهم عددا.

• شارك خالد بن الوليد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين وغزوة تبوك، وقد وكل إليه الرسول صلى الله عليه وسلم قيادة سرية إلى أكثر من قبيلة، يدعوهم للإسلام أو القتال.

خالد بن الوليد في عهد الخلفاء أبو بكر وعمر

حرب الردة

بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، انقسمت القبائل العربية عدا أهل مكة والطائف فرفضوا حكم أبو بكر، وقد انقسمت تلك القبائل في اسباب خروجهم عن طاعة أبي بكر .

فمنهم من ارتد عن الإسلام ، ومنهم من بقى على الإسلام لكن امتنع عن أداء الجزية، ومنهم من اتبع مدعي النبوة في الجزيرة العربية. قسم أبي بكر جيش المسلمين إلى أحد عشر لواء، قام الخليفة أبو بكر الصديق بتكليف خالد بن الوليد بقيادة أحد تلك الألوية، فكان له دورا كبيرا في تلك الحرب الطاحنة التي راح ضحيتها كثير من الصحابة وحفظة القرآن.

فتح العراق

تولى خالد أين الوليد قيادة الجيش الذي كلفه بقيادته الخليفة الصديق عليه السلام، قماش معارك طاحنة ضد الفرس حتى استطاع في النهاية الانتصار على الفرس وفتح أجزاء كثيرة من العراق والحيرة.

ثم في النهاية واجه الرومان في شمال العراق على ضفاف نهر الفرات، لينتصر بعد معارك ضارية، محققا النصر وفتح العراق في النهاية.

فتح الشام

قام خالد بن الوليد بالمشاركة في فتح الشام التي استمرت الرومان في الدفاع عنها، لكن المسلمين استبسلوا في القتال

وقد أظهر خالد بن الوليد قدرات قتالية وتخطيطية مبتكرة في قيادة الجيش فانتصروا في معركة اليرموك التي كانت فاتحة لانتصارات أخرى .

في تلك الأثناء وصلت الأخبار عن وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، وتولى عمر بن الخطاب الخلافة من بعده.

خالد بن الوليد وعمر ابن الخطاب

كانت لعمر بن الخطاب تحفظات عديدة على خالد بن الوليد، وكثيرا ما اغضبته مواقف خالد في مسيرته العسكرية

فلما تولى عمر الخلافة، أرسل برسالة إلى أبى عبيدة يوليه إمارة الجيش ويأمر بعزل خالد بن الوليد وإن بقى تحت إمرة أبي عبيدة قائدا، استمرت فتوحات المسلمين في الشام وقد أظهر بن الوليد مهارة عالية وبسالة فائقة حتى تم فتح الشام وفلسطين ودخل المسلمون المسجد الأقصى.

عزل عمر بن الخطاب لخالد بن الوليد

• كان لبطولات خالد في الشام أكبر الأثر في نفوس الناس، فبهروا به وتحدثوا عن بطولاته، فتغنى به الشعراء، فاجزل لهم خالد العطاء، ومنهم الشاعر الأشعث بن قيس الذي منحه خالد عشرة آلاف درهما جزاءا لما قال فيه.

• فلما بلغ الخليفة عمر ما فعله خالد مع الأشعث، كتب إلى أبي عبيدة يطالبه بأن يأتيه مقيدا في عمامته ليعلم منه هل أعطى الأشعث من ماله أم من مال المسلمين فإن كان من مال المسلمين فقد خان الأمانة، وأن كان من ماله فقد أسرف وفي الحالتين فقد أخطأ خالد ويعزل من جيشه.

• إحتار أبي عبيدة فيما يجب أن يفعل، فجمع الناس ووكل تلك المهمة إلى بلال ابن رباح، فلما جاءهم خالد، سأله بلال عن مصدر المال الذي أعطاه للشاعر، فأجاب أنه من ماله الخاص، وبهذا يكون قد برأ ذمته من خيانة الأمانة، لكن أبي عبيدة فاجأ خالد بقرار الخليفة بعزله وأمره بالتوجه للمدينة.

• فتوجه خالد إلى المدينة معترضا على ما اعتبره قرارا ظالما في حقه، لكن الخليفة طيب خاطره وأخبره أنه قد خشي فتنة الناس به، ولما كثر اللغط بين الناس عن سبب العزل، خطبهم الخليفة عمر رضي الله عنه أنه لم يعزل ابن الوليد بسخط أو خيانة، إنما عزله لئلا يفتن الناس به، وليذكرهم إنما الفعل بيد الله لا المرء.

نزل خالد ابن الوليد علي ما أمر به الفاروق عمر، فكان ذلك العزل نهاية لمسيرة عسكرية كللت بالنجاح.